استدراك وتعليق على كتاب
"حروف الممدود والمقصور" لابن السكيت المتوفى ٢٤٤هـ تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود

للدكتور رياض حسن الخوام
جامعة أم القرى

هذا الكتاب يُعد واحداً من الكتب الكثيرة التي أُلِّفت في هذا الجانب اللغوي الواسع، ومؤلفه غني عن البيان والتعريف عند المشتغلين بعلوم العربية، ولا شك أن محققه الفاضل قد بذل عناء شديداً حتى تم له إخراجه ونشره، ذلك أن المخطوط وحيد وقد كتب بخط نسخي غير متقن[١] غير أن ثمة ملحوظتين هامتين – فيما أعتقد – أود الإشارة إليهما:

الأولى: أن هناك نصين قد سقطا من الكتاب المحقق، أوردهما السيوطي في مزهره منسوبين لابن السكيت في كتابه هذا، قال السيوطي:

أ) "وفي كتاب المقصور والممدود لابن السكيت، قال أبو عبيدة: فقال فقيه العرب: من سَرَّه النَّسَاء – ولا نَسَاءَ – فليبكر العشار وليباكر الغداء وليخفف الرداء وليقل غِشيان النساء[٢]

ب) "وقال ابن السكيت في كتاب المقصور والممدود: قال الأصمعي: لم أسمع فَعَلَى إلا في المؤنث. إلا في بيت جاء لأمية بن أبي عائذ في المذكر،

كأني وَرحْلي إذا رُعْتُها على جَمزَى جازِئٍ بالرمال[٣]

---

(١) الممدود والمقصور، لابن السكيت، ٢٣
(٢) المزهر، السيوطي ١/
(٣) المزهر، السيوطي ط/٧١.

الثانية: أن نصوصاً وردت في الكتابين، غير أن نصوص المزهر فيها زيادات على تلك التي وردت في كتاب ابن السكيت، والمحقق لم يقم بالتعليق على ذلك مع كونه عالماً بذلك، نعتقد ذلك لأمرين:

أ) أنه حين قام بتوثيق نسبة الكتاب لابن السكيت ذكر أسماء الذين نصوا في كتبهم على تأليف ابن السكيت لكتابه هذا، وأنهى بقوله: وأنهى ذلك بقوله: وفي المزهر نقول منه تتفق مع ما جاء في كتاب المقصور والممدود[1]

ب) أنه أحال إلى كتاب المزهر في أكثر من موضع، وأكمل منه بعض السقط الذي وجد في المخطوط كما سنبين ذلك مما سيأتي.

ومهما يكن من أمر فإنّ ما يغنينا أن المحقق لم يعلق على هذه الزيادات بشيء، وها نحن نورد نصوص الكتابين مقارنين فيما بينها لنتبين ذلك، قال السيوطي:

أ) قال ابن السكيت في المقصور والممدود: كل ما كان من حروف الهجاء على حرفين الثاني منهما يُمَدُّ ويُقْصَرُ من ذلك: الباء والتاء والفاء والطاء والظاء والحاء والخاء والراء والهاء والياء[2].

أما ما ورد في كتاب ابن السكيت المحقق فنصه: كذلك كل حروف الهجاء ما كان منها على حرفين الثاني منها ألف يمد ويقصر[3] والمقارنة السريعة بين النصين تظهر تلك الزيادة الواقعة في نص المزهر تلك التي لم نجد تعليقاً عليها من قِبَلِ المحقّق.

ب- وفي المقصور والممدود لابن السكيت، يقال: بغلةٌ سفْواءٌ إذا كانت سريعة، قال أبو عبيدة: ولا يقال من هذا للذكر أسْفَى، ويُقالُ: بَعيرٌ عَيَاءٌ إذا كان لا

---

(١) الممدود والمقصور لابن السكيت ٢١

(٢) المزهر ٢/ ١٠٢.

(٣) الممدود والمقصور، ابن السكيت ١١١.

يحسن الضرّاب ولا يقال في الناس[1] والذي ورد من هذا النص كله في كتاب ابن السكيت المحقق هو "ولا يقال للذكر أسفى[2]" أما أول النص وآخره، ونسبة القول لأبي عبيدة فقد سقط كل ذلك دون إشارة من المحقق إلى ذلك.

ج) كلُ مصدر كان على مثال الفِعيِّلي مقصور لا يمد ولا يكتب بالألف نحو الهزِّيمي والخِطِّيمى والرميثى والرويدى، وزعم الكسائي أنه سمع المدّ والقصرَ في خصِّيصى وأمرهم فيضوضى بينهم، وقال الفراء لم أسمع أحداً من العرب يمد شيئاً من هذا ولم يجزه. ذكره ابن السكيت في المقصور والممدود[3] أما ما ورد في كتاب ابن السكيت المحقق فيتفق أوله مع نص المزهر، على الرغم من وقوع بعض الاختلاف – وسقط آخره كاملاً قال: اعلم أن كل مصدر على مثال فعيلي فهو مقصور ويكتب بالياء مثل الحضيضى مصدر حضضت[4] ثم راح يسوق ما كان على هذا الوزن دون ذكر لزعم الكسائي وقول الفراء اللذين وردا في نص المزهر.

د) قال ابن السكيت في كتاب المقصور والممدود: قال الفراء: ليس في الكلام فُعْلاء ساكنة العين ممدودة إلا حرفان: للقَوبَاءِ قَوْباء وللخُشَشَاء خُشَّاء[5].

وهذا النقل بنصه أورده ابن السكيت في كتابه وأشار المحقق في الحاشية إلى أن سقطاً قد وقع في المخطوط بعد: "قال" ثم قال: "لعله الفراء" واعتمد لإثبات هذا السقط على نص المزهر، ثم ذكر أيضاً أن نقصاً آخر قد وقع في المخطوط بعد كلمة: قوباء وقد أكمله أيضاً من نص المزهر[6] غير أن

---

(١) المزهر، سد ١/٤٤٠.
(٢) الممدود والمقصور، ابن السكيت ٩٦.
(٣) المزهر ٢/٢٠٢.
(٤) الممدود والمقصور ابن السكيت ٤٨
(٥) المزهر ٢/١٠٦.
(٦) الممدود والمقصور، ابن السكيت ٥٦ وانظر تعليق المحقق في الحاشية.

المحقق أغفل تتمة النص الذي أورده السيوطي منسوباً لابن السكيت في كتابه المقصور والممدود، فقد ذكر السيوطي بعد كلمة خشاء ما يلي:

قال: وليس في الكلام فِعَلاء (مكسورة الفاء مفتوحة العين ممدودة) إلا ثلاثة أحرف، السِّيَراء: ضَرْب من البرود ويقال: الذهب والحِولاء والكلام فيه بالضم والعِنَباء للعنب، قال وليس في الكلام فَعَلاء (بتحريك ثانيه وفتح الفاء) غير هذين الحرفين: السَّحناء: الهيئة لغة في السحْناء (بالسكون) ثأَواء لغة في ثأواء (بالسكون قال: وكل الأصوات مضمومة كالدعاء والرغاء والثغاء والعواء والمكاء: الصّفير والحداء والضغاء ضغاء الذئب، والزُّقاء: زقاء الديك إلا حرفين: النداء وقد ضمه قوم فقالوا: النُّداء، والغناء.[1] ويبدو أن المحقق قد ظَنّ أن نَقْلَ السيوطي من كتاب ابن السكيت قد انتهى عند قوله خَشَّاء لكني أعتقد أن النص كله منقول من كتاب ابن السكيت وذلك لثلاثة أمور:

أ) أن السيوطي أضاف بعد كلمة الغِناء التي انتهى النقل بها قائلاً: "وفي الصحاح قال الفراء"[2] مما يدل على أن ما سبق ذلك هو من كتاب ابن السكيت الذي ذكره في أول النص.

ب) أن الألفاظ الممدودة التي وردت في نص المزهر الدالة على الأصوات ذكرت في كتاب ابن السكيت المحقّق مع اختلاف بسيط في ترتيبها[3].

ج) أن سياق الكلام يدل على أن النص متكامل لا انفصام بين أوله وآخره.

وبعد: فهذا ما أردت بيانه وإيضاحه آملاً أن يتدارك المحقق الفاضل ذلك. والله من وراء القصد.

---

(١) المزهر، ١٠٧/٢.
(٢) المرجع السابق ٠٧/٢
(٣) انظر الممدود والمقصور ابن السكيت ٨٥.